

# "القاهرة في السرد الأدبي بين المشرق والمغرب العربي" ( مصر - المغرب )

◆ من إعداد الباحثة: سهى علي رجب

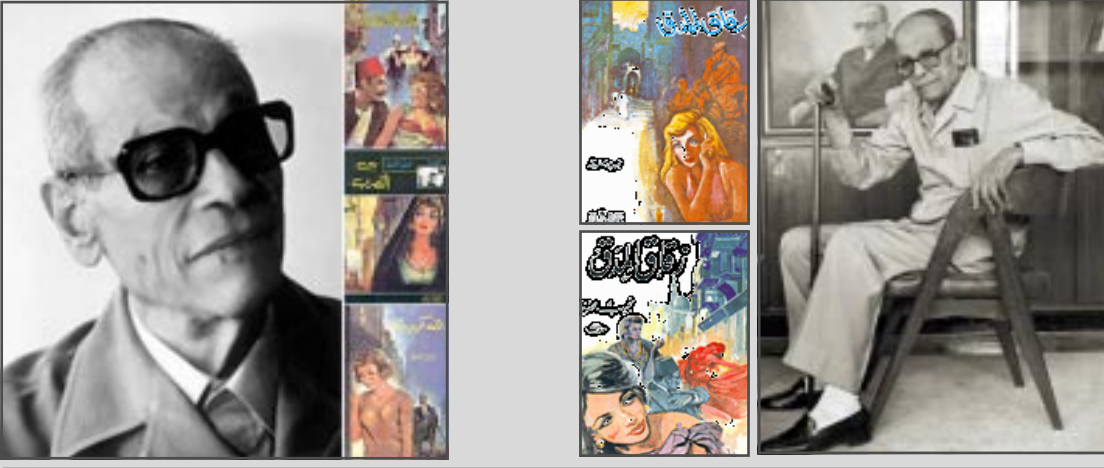


**القاهرة في السرد الأدبي  
في المشرق العربي (مصر)**

**أولاً : نجيب محفوظ : .**

بيوته وحواليته .  
وفي عرضه للأحداث ورسمه للشخصيات  
إستطاع محفوظ خلق تفاعل وتكامل بينهما بحيث  
أصبح إرتباط الحدث بالشخصية والعكس أمراً  
منطقياً، فأستخدم الأسلوب الواقعي في تصويرها  
فأورد من تفاصيل حياة الشخصية وتاريخها ما  
يقنع القارئ بوجودها حقاً، خاصة وإنها تتحرك  
على خلفية ملموسة لها معالم محددة، أورد  
محفوظ تفاصيلها بدقة (قهوة كرشة - الفرن -  
الوكالة - بيت الست سنية ...) كلها أماكن  
محسوسة يراها القارئ أمامه.  
شخصيات الرواية - رجالاً ونساء - تتمتع  
بالحيوية التي إستمدتها من العلاقة الحية  
المنظورة بين الزمان والمكان، والشخصيات هنا  
تنقسم إلى قسمين تمثلياً مع النظرة الثنائية  
للمؤلف حول عالم المادة وعالم الروح ... كذلك  
شخصيات الرواية تنقسم ما بين عالم الراضين  
بالحياة في الزقاق وعالم الراضين للحياة فيه -  
فالأولى جماعة يتسم أفرادها بالقناعة

كانت ولا تزال (زقاق المدق) واحدة من أقرب  
روايات نجيب محفوظ لقلب قرائه، حيث وجدوا  
في جوها المصري الصميم متعة نادرا ما  
تتواجد في رواية أخرى.  
تدور زقاق المدق حول موضوع واحد هو  
حياة الزقاق وأهله وقد استخدم محفوظ  
إمكانياته من صنعة فنية لتصوير ما يجري بداخل  
الزقاق، الزقاق في رواية محفوظ حقيقة واقعة  
يقدمه المؤلف في بعض السطور القليلة في بداية  
الرواية، وجعل منه مسرحاً للجزء الأكبر من  
أحداثها فيبعث في الزقاق الحياة فيبقى حياً ماثلاً  
في ذهن القارئ طوال الوقت، وهذا البقاء ليس  
بفعل الإسهاب في الوصف بل من خلال  
الشخصيات الحية الحقيقية التي تتحرك بين



وتتضح لنا دلالة هذا المذيع بوصول الشاعر العجوز الذي أعتاد أن يطرب رواد المقهى لعشرين عاما ويطرده المعلم كرشة .

وهذا التغيير لم يلبث إلا وأتى على هدوء بيوت الزقاق ففرق بين الأهل وأفسد دماء البيوت بل أدى إلى مقتل الشاب الحالم الوديع (عباس الحلو) وخير مثال للفساد ما جاء على لسان (حسين كرشه) :

" الجيش الإنجليزي كنز لا يفنى ..... "

(زقاق المدق) ليس فقط عنوان الرواية بل أن الزقاق هو بطل الرواية الذي ظل شاهداً على كل ما يدور بين ثناياه وسيظل شاهداً على كل ما يدور.

#### ثانياً : نبيل راغب :

في دراستنا لأي عمل روائي نجد أن إهتمام الروائي يترواح ما بين روائي يهتم بالشخصية وآخر يهتم بالخلفية، فمنهم من يبدأ من الخلفية وينتهي بالشخصية ومنهم من يجعل الشخصية في خدمة الخلفية بحيث تتحول هذه الخلفية بكل ما تحويه إلى البطل الحقيقي للرواية والذي يظهر أثره واضحاً في كل أحداث الرواية منذ البداية وإلى النهاية وهذا ما قام به نبيل راغب في

والزهد، والثانية جماعة يتسم أفرادها بالتمرد على الحياة في الزقاق والتطلع إلى الحياة المادية البراقة خارج الزقاق .

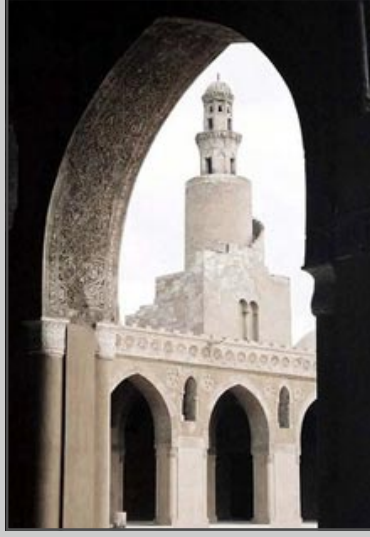
فأحداث الرواية هي تنويعات على لحن أساسي أو موضوع أساسي هو الحب ونقيضه الموت، وكان الحب هو الحياة، وهذان الموضوعان إنما هما أحد خطوط دائرة محفوظ الأساسية وهي (موضوع التغيير) ولقد حقق نجيب محفوظ غايته الفنية بمعالجة موضوعه في إطار فكرته الأساسية (فكرة التغيير)، والتغيير في روايتنا (زقاق المدق) على مستويين أو بمعنى أدق نوعان من التغيير، الأول :- تغيير عادي وبطيء... وهو ما يشير إليه محفوظ على لسان إحدى شخصياته في نهاية الرواية ... يقول الشيخ درويش :

"وما سمي الإنسان إلا لنسيه

ولا القلب إلا أنه يتقلب"

النوع الثاني :- تغيير سريع وغير عادي، وهو ما أتت به الحرب العالمية الثانية وهو تغيير سرى في الزقاق مسرى الدم في العروق فقد أظهره محفوظ من أول روايته في قوله :

" عند مدخل قهوة كرشة ينكب عامل على تركيب مذيع نصف عمر بجدارها "



قلعة الكباش

39) وكذلك تاريخ (أسماء بنت الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون) التي نعرفها نحن بقطر الندى والذي أورده الروائي في الصفحات (53-58) .

أحداث رواية (قلعة الكباش) ليست فقط مجرد أحداث درامية تدور بأحد أحياء القاهرة، بل أن هذه الأحداث لا يمكن أن تحدث إلا في قلعة الكباش فلن نجد

(المعلم الكباش) المدعي بإنه وحده من يحمل سر قلعة الكباش - إلا في قلعة الكباش بجوار ضريح السيدة زينب وجامع بن طولون كما أورد نبيل راغب في بداية روايته من وصف للخلفية والجو العام الذي ستدور الرواية فيه، وقد استخدمه الروائي بصنعة فنية كتمهيد لإنتقال القارئ معه في رحلة الى حي قلعة الكباش الذي هو في الحقيقة البطل الفعلي للرواية.

وبذلك فلقد جسد نبيل راغب للقارئ المكان، أو الشكل الذي أوجد لدى القارئ إحساسا يعادل إحساس الروائي بحي قلعة الكباش وهو ما أسماه (ت.س. اليوت) بالمعادل الموضوعي " الذي ينهض على الحتمية العضوية المنطقية، التي تشترط أن يقوم كل جزء داخل العمل الفني بالتمهيد للجزء التالي " (1) فجاء التطور في أحداث الرواية محكوم بسير الرواية نفسها .

والشخصيات في قلعة الكباش سواء الرئيسية أو الثانوية فهي منذ أول ظهور لها في سطور الرواية وإلى نهاية الرواية كلها شخصيات تدور في فلك حي قلعة الكباش (المعلم الكباش) صاحب اليد العليا في الحي، (عارف) وأصدقائه

روايته (قلعة الكباش) فالرواية منذ البداية وإلى النهاية تدور حول حي قلعة الكباش) بكل شخوصه وملايساته حيث يكشف لنا نبيل راغب عن طبائع شخصياته وطريقة تفكيرها وسلوكها من خلال وجودها داخل مكان واحد هو حي قلعة الكباش ... فنرى

(المعلم الكباش) صاحب السطوة والكلمة الأولى في المنطقة بأكملها وفي مقابلة

(عارف) ذلك الشاب المثقف الذي قتل أباه على يد المعلم الكباش.. هذا الشاب يستخدمه الروائي كمرجع للقارئ حيث إنه يقوم بعمل رسالة ماجستير حول منطقة قلعة الكباش وتاريخها وهذا ما يجعل روايتنا مرجع تاريخي هام ... فلقد دمج الروائي بين خطه الدرامي والرواية وبين معلوماته الوثائقية عن منطقة قلعة الكباش بطريقة تتسم بالبساطة والمرونة فلم يشعر القارئ بأنه يقرأ كتاب تاريخ بل يظل ذهن القارئ عالق بصلب الدراما في الرواية .

فتعد (قلعة الكباش) من نوعية الروايات الدرامية التي تركز على خط درامي واحد يعتمد على التسلسل المنطقي والتدفق الطبيعي للأحداث بحيث يضع أسباب النتائج آتية بشكل منطقي، فلم يقحم معلوماته التاريخية عن المنطقة - مسرح الأحداث - ومعلوماته التاريخية عن قطر الندى أبنة خمارويه .... لم يقحم كل هذه المعلومات على النص الدرامي وإنما كانت في خدمة الدراما حيث ربط بين كشف حقيقة المعلم الكباش والهالة التي يضعها حول نفسه وبين تاريخ هذه المنطقة وهذا ما أورده الروائي في الصفحات التالية من (33-

الكتاب والفنانون بمختلف مجالاتهم وهي :

### «الدين - السياسة - الجنس»

وقد تطرق الأسواني في روايته للثلاث تابوهات وذلك من خلال إستعراضه لحياة شخوصه وعلاقاتهم.

نلاحظ منذ الصفحات الأولى في الرواية أن الأسواني في إستعراضه لمواقف شخوصه يريد أن

يوضح ذلك البعد الخفي داخل كل منا فلكل منا عدة وجوه أو (أقنعة) ولكل مقام قناع ومقال، ولكن يبقى دائما الوجه الأصلي الذي لا يراه أحد سوى صاحبه حيث ينفرد بنفسه، وهناك من يرفض أن يواجه هذا الوجه الأصلي إما هرباً من حقيقة أو محاولة لإيهام الذات بأكذوبة خلقها الفد وعاش بها وصدقها. فنرى شخصية "أسخرون" ذلك الخادم الذي يستغل كل شيء حوله حتى إعاقته فهو يعرف مفاتيح سيده ومتى يستخدم كل مفتاح وكيف يستخدمه. نرى التناقض بين قناعي أسخرون النصاب المحترف، والمتدين الحق والأسواني هنا يوضح جانب هام جدا وهو أن الخوف من الله دائما داخل الفقراء وهو يؤكد على ذلك بشخصية أخرى " بثينة " التي تتنازل عن أخلاقيتها في مقابل أن تطعم أخواتها وأمها وهو هنا يعادل بين أسخرون المسيحي المتدين وبثينة المسلمة المتدينة وكلهما فقير وكلهما يخطئ ويخاف عقاب الله.

وعلى طول الرواية يعزف الأسواني على أوتار الممنوع داخل النفس البشرية من خلال سكان عمارة يعقوبيان الكائنة بأحد شوارع وسط القاهرة ويربط بين القاهرة الأربعينيات وقاهرة



علاء الأسواني

(مصطفى، يشكر) شباب قلعة الكباش المتعلم الذي يرفض الخنوع للمعلم الكباش، (قطر الندى) إبنة المعلم الكباش ونقطة ضعفه الوحيدة،(الشمطلي) الذراع الأيمن للمعلم الكباش الشخصية المتسلقة المتطلعة في طمع لنيل مكانة المعلم، وحتى أعوان هذا الشمطلي فقد تخير لهم الروائي أسماء لحيوانات تعيش على الإقتناص (نمر، ديب، فهد)

... أوجد الكاتب علاقة يستشفها القارئ بين كل هذه الشخصيات وبين الحي الذي يعيشون فيه من خلال وصفه للجو العام للحي في بداية الرواية.

(1) دنبييل راغب : دليل الناقد الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.

### ثالثا : علاء الأسواني :

"عمارة يعقوبيان" رواية إستطاع من خلالها علاء الأسواني أن يصيغ علاقات سكان عمارة واحدة وحياتهم في رواية تحمل داخلها أكثر من رواية.

منطقة " وسط البلد " بكل شوارعها وممراتها ومحلاتها بإختلاف أنشطتها مادة خام خصبة وسخية ومغرية لأي أديب لأن ينتج إنتاجا أدبيا وفيرا وغنياً على المستويين الفكري والفني، وكما وجد نجيب محفوظ في القاهرة الفاطمية ضالته .. فإن منطقة وسط البلد كذلك تحتاج لعشرات الأدباء كي يستوعبونها إجتماعياً ونفسياً وإقتصادياً وسياسياً ...الخ.

من المعروف لدى المثقفين العرب أن هناك ثلاث ممنوعات أو (تابوهات) يبتعد عنها معظم



د. رشيد يحيوي



د. محمد برادة

بعض اللحظات السعيدة والتعيسة في نصوصهم السردية، سواء من خلال تذكّر المدينة وتخيلها وإستيحائها، أو من موقع تأمله وإعادة بناء بالخيال، أو من زاوية إنتقادها ومساءلتها، بحيث يصبح للغة في تلك النصوص دور أساسي في تحويل التجارب الحياتية إلى كتابة، وتخيل ذاتي ومتعة أيضاً.

وأهم التجارب الأدبية المغربية التي تناولت القاهرة هي :

أولاً/ د. رشيد يحيوي :  
ناقد وأستاذ جامعي مغربي في كلية الآداب في أغادير (المملكة المغربية): .

التسعينيات عن طريق شخصية معاصرة للفترتين وهي شخصية (ذكي بك الدسوقي) فيوصف (كلوب محمد على - نادي السيارات - بارات وسط البلد - محلات وسط البلد - الزحام - دوريات الأمن ومواقيت تغييرها في شوارع القاهرة .....)  
بالإضافة إلى سكان عمارة يعقوبيان نفسها بإختلاف مستوياتهم سواء الثقافية أو الإجتماعية نرى سكان سطح العمارة (ترزي - موظف - بائعة في محل - البواب ..) وسكان شقق العمارة (ضباط جيش - صحفي شاذ - الأرسنقراطي ذكي بك.....)  
الكل يسكن العمارة الكل يعيش في القاهرة التي تحتضن كل أنماط البشر.

### القاهرة في السرد الأدبي

#### في المغرب العربي (المغرب)

الحقيقة أن السرد الأدبي في المغرب لم يهتم كثيراً بالمدن العربية وكان أكثر إهتمام الكتاب بالمدن الأجنبية والأوروبية تحديداً.

ولكن القاهرة كان لها شأن آخر مع الكتاب المغاربة فهناك رغبة ذاتية داخل كل الكتاب غير المصريين الذين زاروا القاهرة أن يحولوا تجربتهم النفسية مع القاهرة الى عمل أدبي. وتبقى القاهرة هنا أهم مدينة عربية حفزت الكتاب المغاربة للكتابة عنها، كما خلقت لديهم نوعاً من الإغراء الأدبي لتمثيل بعض المحطات الرئيسية من عوالم القاهرة وتحولاتها الإجتماعية والسياسية والثقافية والمعيشية. ومن خلال ذلك كله تنبعث لديهم جانبية الكتابة عن هذه المدينة، فأعادوا صوغ

كتب يحيوي يوميات تحت عنوان (القاهرة الأخرى) صادرة عن وكالة الصحافة العربية، القاهرة: 1997. عبارة عن روايات عديدة هي عبارة عن تجربته الشخصية مع القاهرة والتي أوضح فيها تأثيره بالقاهرة الجديدة ما لها وما عليها نقداً وإنتقاداً، شعر بإنه مصري الى النخاع بل قاهري الى النخاع فيصف القاهرة بأن لها مجال مغناطيسي لا يقاوم مهما حاول الإنسان.

ثانياً/ الناقد والروائي د. محمد برادة : .

كتب برادة (محاكيته) - كما يطلق عليها المغاربة - تحت عنوان "مثل صيف لن يتكرر" الصادرة عن (منشورات الفنك، الدار البيضاء) وهي الطبعة الأولى أما الطبعة الثانية فصدرت عن هيئة قصور الثقافة بالقاهرة وهي نصوص روائية من بين أهم التجارب

### القاهرة في السرد الأدبي...

حكائي يرويها الكاتب عن أيامه التي قضاها في الجو القاهري المفعم بالأسرار والطاقت التي تثير الخيال والتخييل فجعلت من أيامه في القاهرة شبكة متواصلة من الحكايات.

وبجانب المتعة التي توفرها لنا لغات الحكى وطرائق السرد وطاقات التذكرو والتخييل في تلك الكتابات السردية السابقى على إختلاف أشكالها عن (القاهرة)، ذات المنحى الذاتى بشكل عام، فهي تعيد نسج تلك المحطات الحياتية والثقافية القريبة منا ومن إحساسنا تجاه القاهرة تلك العاصمة التي نراها باشكال مختلفة، فالقاهرة نهاراً تختلف عن القاهرة ليلاً لكن تبقى القاهرة ملهمة لكتاب الوطن العربي مشرقه ومغربه سواء في ليها أو نهارها.



الأديب عبدالكريم غلاب

السردية المغربية الجديدة التي حاولت من موقع التذكر المصاحب للمعايشة الحياتية والإحتكاك المباشر للكاتب بالقاهرة أن تستعيد صور ومشاهد خاصة من الجو القاهري في ماضيه القريب والبعيد وفي تحولاته على كافة المستويات، والإستعانة ببعض الرموز والشخصيات التاريخية التي لم يستطع الوقت موهها من ذاكرة الكاتب.

ثالثاً/ الأديب عبدالكريم غلاب :-

كتب عبدالكريم غلاب مذكراته المعنونة بـ " القاهرة تبوح بأسرارها " الصادرة عن (كتاب الهلال، القاهرة) ويظهر تأثر غلاب بنجيب محفوظ وخاصة في روايته " القاهرة الجديدة " وهي مجموعة من النجاحات والسقطات مجموعة من حالات الحب والتهور والهدوء مذكرات في شكل

#### أولا المراجع :-

- 1- د. إبراهيم الشيخ : مواقف إجتماعية وسياسية في أدب نجيب محفوظ، مكتبة الشروق، القاهرة، 1987.
- 2- د. سيزا قاسم : بناء الرواية (دراسة)، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004.
- 3- د. نبيل راغب : دليل الناقد الأدبى، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998.
- 4- د. نبيل راغب : موسوعة الإبداع الأدبى، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، 1996.
- 5- د. مصطفى عبد الغنى : إجهات النقد الروائى المعاصر - الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

#### ثانيا المصاد :

- 1- نجيب محفوظ : زقاق المدق، مكتبة مصر، القاهرة، 1982. (الطبعة العاشرة)
  - 2- نبيل راغب : قلعة الكباش، مكتبة مصر، القاهرة، 1984.
  - 3- الاء الأسوانى : عمارة يعقوبيان، دار الشروق، القاهرة، 2002.
- \*\*مواقع من الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت):-
- موقع جريدة الشرق الأوسط السعودية [www.aawsat.com](http://www.aawsat.com)
- موقع أدب وفن [www.adabwafan.com](http://www.adabwafan.com)
- موقع المملكة المغربية [www.escwa.org.lb](http://www.escwa.org.lb)
- موقع أدب مغربى [www.ar.wikipedia.org](http://www.ar.wikipedia.org)
- موقع وزارة الثقافة المغربية [www.minculture.gov.ma/arabe](http://www.minculture.gov.ma/arabe)

### قائمة المراجع والمصادر